المحور الثالث: شرح نسق السياسة الخارجية.

سؤال: لماذا تتمايز السياسات الخارجية للوحدات الدولية عن بعضها البعض؟

الجواب: ينبني المنطلق الأكاديمي على افتراض رئيس، مفاده أن السياسة الخارجية لا تتحدد ولا تتغير أو تتحرك بفعل الصدفة، وإنما استنادا إلى جملة من المتغيرات التفسيرية التي تتفاعل مع بعضها البعض في شكل أنماط متعددة ومتنوعة، اعتمادا على خصائص الوحدة الدولية محل الدراسة. ويمكن تصنيف تلك المتغيرات وفق ثلاثة أنماط رئيسية، هي:

المتغير المستقل:

أولا: المتغيرات الموضوعية.

يقصد بها تلك العناصر والفواعل الكامنة في البيئة العامة لعملية صنع السياسة الخارجية، مستقلة عنها وعن سلوك صانع قرار السياسة الخارجية، وهي تشمل بالأساس قسمين إثنين هما:

1- المتغيرات الداخلية: وهي متغيرات تقبع داخل إطار الوحدة الدولية ذاتها، بمعنى أنها مرتبطة بتكوينها الذاتي (التنظيمي، القومي...) ولا تنشؤ نتيجة التفاعل مع وحدات أخرى، وتتشكل هذه المتغيرات بدورها من فرعين رئيسيين:

أ - *الخصائص القومية:* يقصد بها مقومات قوة الدولة المشكلة من مجموع الموارد المادية المتمثلة في العناصر الجغرافية والاقتصادية والبشرية والعسكرية.

ب -*العناصر البنيوية:* وهي المتغيرات المرتبطة بالتكوين البنيوي والوظيفي للوحدة الدولية، لا من حيث طبيعة النظام السياسي ولا من حيث الخصائص المميزة له من مختلف المستويات الإيديولوجية، سياسية كانت أم اقتصادية وثقافية واجتماعية.

2- المتغيرات الخارجية: تمثل مجموع المتغيرات الناشئة ضمن البيئة الدولية، بمعنى الآتية من خارج نطاق ممارسة سلطة الدولة، وتلك التي تنشؤ نتيجة التفاعل مع باقي الوحدات، وتشمل في العموم النسق الدولي، التفاعلات الدولية، الموقف الدولي وإلى ما غيرها من المتغيرات.

ثانيا: المتغيرات النفسية (القيادية):

تنصرف هذه المتغيرات إلى فهم وإدراك صانع السياسة الخارجية للمتغيرات الموضوعية التي لا يمكن أن تحدث أثرها على صنع السياسة الخارجية إلا من خلاله، وعلى هذا الأساس تكون المتغيرات النفسية بمثابة الموجه لأثر المتغيرات الموضوعية (عناصر البيئتين الداخلية والخارجية) على عمليات صنع السياسة الخارجية، ومن بعده تؤثر سلوكاته على المتغير التابع (نمط السياسة الخارجية).

مثال: قائد سياسي تصور أن دولته تمتلك قوة عسكرية ضخمة مقارنة بقوة العدو فإنه سيتصرف في السياسة الخارجية على أساس هذا التصور حتى لو لم تكن دولته تمتلك تلك القوة في الواقع.

غير أن ذلك لا يعني أن المتغيرات الموضوعية هي مجرد متغيرات غير مباشرة، فهي التي تحدد إمكانية نجاح أو فشل السياسة الخارجية، حيث أنه وبمجرد أن يصوغ القائد السياسي وينفذ سياسته الخارجية، فإن تلك السياسة تستقل عن تصوراته الذاتية، فتتحدد فرص نجاح أو فشل تلك السياسة بالدرجة الاولى انطلاقا من طبيعة المتغيرات الموضوعية.

المتغير الوسيط:

يقصد به تلك المتغيرات التي تتدخل في التأثير على شكل العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، فأثر المتغيرات الموضوعية والنفسية على نمط السياسة الخارجية

يتحدد بشكل معين وفق عمليات صنع السياسة الخارجية، وهي تشمل هيكل وخطوات صنع تلك السياسة بما في ذلك عملية صنع واتخاذ القرار، والتي تختلف من دولة إلى أخرى تبعا لاختلاف العقائد والأطر الأيديولوجية والتنظيمية المعتمدة والمحددة تبعا لطبيعة النظام السياسي.

المتغير التابع:

لا يقتصر فهم السياسة الخارجية على تحديد واستخلاص تلك الأبعاد والخصائص المميزة لها، أو ربما التعرض فقط إلى الخطوات والمراحل التي تأخذها عمليات صنع السياسة الخارجية، بل إن وصف وتحليل هذه الأخيرة يفرض ضرورة استخلاص الأنماط الرئيسية لتلك السياسة، ويقصد بالنمط هنا تلك الوقائه التكرارية المتماثلة نسبيا والتي تحدث عبر فترة زمنية طويلة، والتي نوظفها في سبيل التنبؤ بمسارات السياسة الخارجية المحتملة في المستقبل.